# الخطاب الأنثروبولوجي في عالمه الإسلامي

د.آسيا واعر - جامعة عنابة- الجزائر


## الملخص :

تهتم الأنتروبولوجيا بدراسة الإنسان دراسة كلية شمولية لمجموع قيمه الدينية والثقافية والاجتماعية، إنها علم الإنسان من زاوية الاهتمام بفكرة الأجناس والأعراق البشرية أو الإنسانية من حيث قيمها وثقافته، فهي كما يرى كلود لفي ستراوس معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية و محيطه الجغرافي، الأمر الذي دفعنا إلى البحث حول الإسهامات التي كانت في هذا المجال في الفكر العربي لإسلامي، أي الدراسات التي اختصت بعلم الإنسان الإسلامي؛ لنجد أنّ العالم الأنتروبولوجي الباكستاني – أكبر. س. أحمد- أحد أعلام علم الإنسان المعاصرين قد كان له عظيم الأثر في هذا المجال خاصة في مؤلفه "نحو علم الإنسان الإسلامي" حيث أسلم الدراسة الأنتروبولوجية ووجه بوصلتها إلى العالم الإسلامي بدراسة كان لها من الجدة و الأصالة ما ينوه عن أنثروبولوجيا عربية إسلامية قائمة بذاتها.

## *Abstract :*

*Anthropology is a science dedicated to the study of the human being In a holistic way.*

*It is an inclusive science that studies man in the context of the society and culture to which he belongs, While combining approaches to natural, social and human sciences.*

*In other words, this science studies the origin and development of human variability and social behavior patterns across time and space, Has its own original research arobo-Islamic thought, this is what we found with the anthropologist "Akbar. S. Ahmed".*

**مقدمة:**

منذ أن وطئت قدما الذوات الإنسانية سطح المعمورة إلاّ وهي تعمل عقلها، مرة في ذاتها وأخرى في سر كينونتها، تبحث عن هذا الوجود وفي هذا الكون، إنه سر الطبيعة البشرية الذي يحاول أن يكتشف غموض هذا الكون وأن يقف على ضوابطه وآلياته، فكان نتاجا لذلك حقولا من المعارف كما سالت اودية من العلوم والمعارف.

وما إن ضبط - ولا يزال- ما يحتاجه من معارف رياضية وفيزيائية وغيرها حتى اتجه إلى البحث عن سر كينونته هو، وعن سر الأنظمة المؤسساتية التي تتحكم فيه كفرد يعيش وسط جماعة، هذه الجماعة التي تتخللها منظومات سلوكية بها وحدها تحدد مصيره الفردي والجماعي من هنا دعت الحاجة لإرساء مبادئ الدراسة الأنثروبولوجية في صرح الفكر الإنساني.

هذه الدراسة التي يبدو وللوهلة الأولى أنها دراسات قد شاعت وذاع صيتها في الأوساط الغربية أولا، إذ يرجع الفضل للعقل الغربي في ضبط مباحثها ومناهجها، هذه البداهة أو المسلمة التي لم يرض الأنثروبولوجي الباكستاني المعاصر "أكبر س أحمد" بها، وكان له موقفا مميزا وفريدا من الدراسات الأنثروبولوجية في الفكر الغربي، حيث كشف عن أهم الأغاليط التي كانت في منهجها مما نتج عنه عدم دقة نتائجها ونظرياتها التي ذهبت إليها في هذا الحقل المعرفي، كما أنه دعا لإرساء أنثروبولوجيا إسلامية لها مباحث وقضايا تقارب الأنثروبولوجيا الغربية في بعض منها وتخالفها في الكثير من قضاياها، لذا دعت الحاجة لتأسيس الأنثروبولوجيا الإسلامية والكشف عن أهم قضاياها، فكان بذلك – على حسب علمنا – أول من دعا لتأسيس هذا العلم كما أنه أول من صنف مباحثه الأولية في الفكر الإسلامي، وتحليل هذا في ما يلي:

## 1. في ماهية علم الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا علم "من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمه الجمالية، الدينية، الأخلاقية، الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية"[1]، إذ يركز هذا العلم على الذات

الإنسانية من خلال ما يحيط بها من منظومات وضعتها وأسست لها، وإذا كنا نبحث عن الجذور التاريخية لهذا العلم فإنا نجده في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد بدأ بدلالة الاتنولوجيا أو الاتنوغرافيا التي اهتمت بوصف عادات وتقاليد الشعوب البدائية، وبالتالي البحث في مجتمعاتها الصغيرة، أما الأنثروبولوجيا فقد كانت "مخصصة لدراسة الإنسان في كل مظاهره الجسدية والبيولوجية، ليتخذ الآن في الولايات المتحدة الأمريكية مفهوم دراسة التطور البيولوجي في الكائنات البشرية وتطورهم الثقافي طيلة فترة ما قبل التاريخ"[2].

ليتخذ المفهوم الآني أنه العلم الذي "يرتبط عادة بفكرة الأجناس والأعراق البشرية والإنسانية من حيث قيمها وثقافتها وهذا مجمل ما دقق فيه الأنثروبولوجي الفرنسي "كلود لقي ستراوس"[3].

## أ- المباحث الأنثروبولوجية:

إنّ المبحث الأساسي التي تدور حوله الدراسات الأنثروبولوجية هو المبحث الإنساني وكل ما يتعلق به من ايديولوجيا في جميع نواحيه وميادينه ولذا كانت لها عدة فروع تابعة للجانب المدروس في المجال الإنساني فتفرعت إلي:

- **الأنثروبولوجيا الفيزيقية:**

وهنا تهتم الدراسة بفيزيقا الإنسان من خلال التطور العضوي، كما تهتم بدراسة وتحليل النوع البشري، أي تهتم بالبحث عن الأصل الإنساني من مبدأين أساسيين هما: جمع وتحليل حفريات الإنسان القديم، ودراسة بناء و حركة الأحياء الأقرب شبها بالإنسان وكذلك قدرتها على التكيف - المورفولوجيا المقارنة- متكئين على الأجزاء المتبقية من الجماجم والفكوك والعظام، فالأنثروبولوجي الفيزيقي بعمله هذا إنما يشير إلى الأنواع الإنسانية المعاصرة، فغاية الدراسة تكمن في الكشف عن الإنسان كنتاج لعملية التطور بما لها من خصائص وملامح فيزيقية، فضلا عن أنه يحاول قدر الإمكان الكشف عن الاختلاف

السلالي "التنوع الإنساني" هذا الأخير الذي يزيد من الفهم لمشكلة التكيف الإنساني التي تعد كمشكل رئيس للدراسات الأنثروبولوجية[4].

- **الأنثروبولجيا الاقتصادية**

والجانب الاقتصادي له دراسته الانثروبولوجية التي تميزه عن غيره والتي يكون السوق والشراكة التجارية مجالا أوّلا لها، فهناك انظمة اقتصادية تسوس العمال والشركات التجارية والمؤسسات الاقتصادية.

- **الأنثروبولوجيا الثقافية:**

تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية بالمبحث الثقافي الذي يهتم بالبحث ودراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، وإذا كانت الثقافة تضم العرف والعادات والتقاليد وجميع الممارسات الإنسانية فالأنثروبولوجيا الثقافية تصب اهتماماتها في درس كل هذا، في البحث عن أصول الثقافات ونموها وتطورها ابتداء وصولا تحليل التباين والتشابه القائم بينها؛ وهي تنقسم إلى:

**الأركيولوجيا:** فيستهدف دراسة الثقافات القديمة كما يهتم بعملية التطور الثقافي للثقافات المعاصرة من فجرها إلى ما آلت ليه في الأزمنة المعاصرة، وفي مجملها دراسة الإنسان في عصوره القديمة من حيث البحث في الجانب المادي للثقافات.

**الاثنولوجيا:** ترتكز على الثقافة من حيث السلوك الإنساني أينما وجد وأينما كان، بتسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في مختلف الأزمنة والعصور سواء أكان في المجتمع البدائي أو في المجتمع المتحضر بغية الوصول إلى الخصائص الثقافية للجماعات البشرية المختلفة[5].

**اللغويات:** يكون الاهتمام بالمجال اللغوي كعنصر من عناصر الثقافة في العنصر الإنساني، باعتبارها الوسيلة الأولى للارتباط البشري وأداة لنقل الأفكار والتعبير عنه حتى وإن كان هذا التواصل يتمثل في صور الإشارات والرموز والأشكال والصور.

كان هذا الاهتمام بالجانب اللّغوي قد لقي اهتماما كبيرا منذ القرن السابع عشر وكانت بداية الدراسة فيه تهدف إلى معرفة أصل اللّغات والمقارنة بينها، والبحث في أشكالها وتعقيداتها وتتبع استمرار تطورها ونموها التاريخيين[6].

- **الأنثروبولوجيا الاجتماعية:**

تركز الدراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية على السلوك الاجتماعي بالدرجة الأولى، حتى وإن كان هذا الأخير يضم كل الأنظمة القائمة بين أفراد المجتمع الواحد وما يخضع له من انظمة سياسية وعبادات دينية، إلاّ أنه يهتم بتحليل السلوك الاجتماعي، فهنا اتخذت الدراسة الطابع الكلي لا الفردي الذي يتجسد في ارتباط الفرد بالآخر، كيف يؤسس لهذه العلاقة وكيف يحيا بها، إنها دراسات علاقات الغيرية، هذا لب الدراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تكمن في الاهتمام والبحث المركزيين حول دراسة العلاقة بالآخر .

ولعلّ أبرز المحاور التي ارتكزت عليها الدراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية تكمن في:

**تأسيس المجتمعات:** يمكن القول أنها القضية الأولى التي بحث فيها الأنثرووولوجي، كيف كان هذا التجمع البشري، و لتحقيق أي غاية، وتتشابه صور المجتمعات فتكون واحدة وعالمية، أم تختلف باختلاف البيئة و المناخ، ثم كيف يكون التنوع التاريخي لهذه المجتمعات، ...(إلخ)

**صلة القرابة:** شكل موضوع القرابة المحور الرئيسي إن لم يكن محور المحاول لكل الاتجاهات والنظريات الأنثروبولوجية منذ بروزها إلى اليوم، و لقد ظهرت اتجاهات ومدارس في تحليل هذا المبحث، وكانت قضية القرابة هي القضية التي تحددت بموجبها التقاطعات بين الاتجاهات النظرية والمدارس الأنثروبولوجية[7]

**الزواج:** كدراسة لإحدى نماذج الروابط الاجتماعية، وإنشاء عقد مقدس بين جنسي الذكر والأنثى، هذه البنية التي يتحدد بها الشكل الأول للمجتمع الإنساني.

**الدين:** إنّ بداية الراسات الأنثروبولوجية قد ارتبطت مع الدراسات الدينية، وأنثروبولوجيا الدين أوسع وأشمل من علم الأديان[8]، ذلك أن البحث في قضاياه تضمنت أسئلة كبرى كانت حول ماهية الأديان، وعن تطور هذا المدلول عبر التاريخ الإنساني، وعن مدى

ارتباط المشاعر بالشعيرة، ثم ما الفرق بين الديانات السماوية والديانات الأخرى ومدى ارتباط الدين بالسلوك الفردي والجمعي في نفس الوقت[9].

**العادات و التقاليد:** وفيها يقف الأنثروبولوجي على دراسة عادات وتقاليد قبيلة ما، كما تبحث عن أصل هذه العادات وعن كيفية توزعها الجغرافي، ما هي الأسباب التاريخية التي أسست لهذه العادات والتي أدت إلى تكونها[10].

## ب- منهجها و صلتها بالعلوم الأخرى:

ككل علم من العلوم يتوخى الموضوعية ويهدف إلى دراسة دقيقة عليه أن يضبط منهجا لسير مباحثه والدراسات الأنثروبولوجية عموما تتخذ من العمل الميداني مركز دراساتها، لابد للأنثروبولوجي أن يحتك بوحدة موضوعه -الإنسان- إذا أراد أن يصل إلى حقائق معرفية صادقة، أما إذا اكتفى بالبحث بما تسعه رفوف المكتبات فيكون عمله خاويا مما تهدف إليه الدراسة كما يكون عملا لا جدوى ولا فائدة منه

على الأنثروبولوجي الناجح بعد أن يحدد قضية دراساته أن يتقصى تحليلها من الواقع المعاش إذ منه يكون جمع المادة العلمية لا يجدها جاهزة بل يتتبع ما تحويه هذه المنظومات الاجتماعية وما "يجمعه من مصدره الأوّل لمدة شهر يتطلب أشهرا لوضعه في سياقه انظري المعرفي"[11].

لقد اتخذت الدراسات الأنثروبولوجية في الفكر الغربي مركزية الفكر الإنساني منذ الارهاص الأول لها

إلى يومنا هذا، هذه الدراسة التي لم ير فيها الأنثروبولوجي الباكستاني المعاصر "أكبر أحمد"[12] سوى جملة من النقائص والأغاليط داعيا لقيام أنثروبولوجيا إسلامية لها من دقة مواضيعها ما يتجاوز الدراسة الغربية، وهنا نكون أمام إشكال معرفي يتمثل في هاته الأغاليط التي كشفها أحمد في الأنثروبولوجيا الغربية، وكيف أسس للأنثروبولوجيا الإسلامية ؟

ويمكن أن نحلل هذا الإشكال بالاعتماد على النقاط التالية:

## 2. موقف "أكبر أحمد" من الأنثروبولوجيا الغربية:

لم ترق الدراسة الأنثروبولوجية في الفكر الغربي إلى المستوى الفكري لأكبر أحمد، حيث ذهب إلى أنها دراسات مليئة بالأغاليط فاقدة في كثير من الأحيان إلى المنهج العلمي المطلوب، بل حتى أنها بنيت على مجموعة من المبادئ و النظريات الفكرية التي صاغها المفكرون والعلماء مع بداية فجر هذا العلم والتي لم تكون وفق بنيان قوي متين نظرا لاختلاط الأمر والالتباس الفكري الذي اتسمت به حقولهم المعرفية، ويمكن أن نحصر جملة الانتقادات والسلبيات التي وجدها "أكبر أحمد" في الدراسة الأنثروبولوجية عموما والدراسة الأنثروبولوجية الغربية خصوصا في النقاط التالية:

### أ- في بدايات العلم الأنثروبولوجي :

إنّ المتعارف عليه في الساحة الفكرية الإنسانية أنّ الدراسة الأنثروبولوجية هي دراسة استشكلها العقل الغربي هذا الأخير الذين كان أوّل من فتح باب مباحثها وحدد جميع ميادينها وفروعها، وهذا ليس محل شك عند الكثير من اللماء والمفكرين "فالأنثروبولوجيا علما إنسانيا تجد أصوله في المنطقة التي ندعوها الغرب وعلى نحو ملحوظ في ثلاثة أو أربعة بلدان أوروبية هي: فرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة"[13]، واستقرت هذه النظرة حتى كادت تكون مسلمة ينطلق بها الأنثروبولوجي في أي من دراساته، الأمر الذي لزم على الاطلاع على ما حواه الفكر الغربي في هذا المجال.

يرى "أكبر أحمد" أنّ الدراسات الأنثروبولوجية "إن لم تعتبر وليدة للغرب فهي من صنعه أو بتحديد أكثر من صنع الاستعمار الغربي، ولكن الأمر ليس كذلك، فإنّ أعمال ابن خلدون – تنعكس بما فيها من نظريات ومادة علمية تعززها كتابات بعض المفكرين الغربيين الذين كان لهم أبعد الأثر مثل كارل ماركس، وماكس وبر، وقلفريدو باريتو وارنست جلنر"[14] هؤلاء الذين كان لهم الأثر الواسع في الدراسة الأنثروبولوجية، ليجد "أكبر أحمد" أنّ الدراسة التي قام بها هؤلاء في هذا الحقل المعرفي كانت ترتكز على انتاج إسلامي بالدرجة الأولى فما قام به وبر في تصنيفه لأنواع الزعامة وما تحمله نظرية باريتو عن دورة

الصفوة و ما كان في نظرية جلنر عن ظاهرة حركات البندول في المجتمع الإسلامي كل هذا ينم عن أثر العلامة ورائد علم العمران البشري "ابن خلدون".[15]

فابن خلدون يعتبر رائد علم العمران البشري في الفكر الإسلامي الذي كان يجمع "معلومات وملاحظات مما خول له أن يكون عالم اجتماع عميق التفكير. وحاول بخبرته الثرية في مختلف الحكومات الإسلامية إضافة إلى ملاحظاته وقراءاته الواسعة أن يؤسس دراسة المجتمع البشري في أشكاله المختلفة كافة، وطبيعة خصائص كل شكل من هذه الأشكال والقوانين التي تتحكم في تطوره؛ حتى أنّ بعض الكتاب الغربيين شهد أنّ بعض مبادئ ابن خلدون عصرية على نحو رائع على الرغم من أنها كتبت قبل خمسة مئة عام"[16]، وإن كان هذا يدل على شيء فإنما يدل على ما مدى نبوغ العقل الإسلامي في الحقل المعرفي للدراسات الأنثروبولوجية.

وقبل "ابن خلدون" نجد "ابن بطوطة" أعظم رحالة عرفه تاريخ الفكر الإنساني "فقد انطلق من موطنه في شمال إفريقيا شبه الصحراوية ، وكان مجمل ما قطعه في أسفاره خلال الثمانية و العشرين عاما يتوقف على خمسة وسبعون ألف ميل. ثم أملى روايته بأمر ملكي على محمد بن جزي، وتكشف رواية ابن بطوطة كثيرا من المعلومات عن الحكومات الإسلامية في زمانه وكذلك تفصيلات من الممارسات الإسلامية الدينية والثقافية[17].

ويضيف "أكبر أحمد" أنّ البيروني يستحق لقب أبو علم الإنسان عن جدارة، حين قام ببحث عنه حيث اكتشف أنّ دراسته تقوم على منهج دقيق علمي موضوعي، يقوم على الملاحظة من الداخل على نطاق واسع في الثقافات الأخرى، والإفادة من المادة العلمية التي تجمع بالتحليل المحايد، وبالرأي البريء من الهوى من بدايته، وباستخدام المنهج المقارن، لهذا كان في نهج البيروني الذي يعد من أبرز علماء الإنسان بأرقى المعايير المعاصرة، ومؤلفه :"كتاب الهند" واحدا من أهم المراجع التي بحثت في جنوب آسيا وخاضت غمارها حتى مثل أهم مصدر في دراسات أشد العلماء الهنود المعاصرين دقة ملاحظة وهكذا يمكن القول أنه ومنذ نحو ألف عام قام البيروني بوضع أساس علم الإنسان[18].

هذا ومما يؤسف له أنّ علم الاجتماع و علم الإنسان قد وقف مع انجازات "ابن خلدون" و"ابن بطوطة" و"البيروني" و"المسعودي" وقلة قليلة أخرى ولم يشهد هذا العلم بعدهم أي تطور ليومنا هذا.

### ب- ضعف المنهج في الدراسة الأنثروبولوجية الغربية

يذهب "أكبر أحمد' إلى أنّ ما بني عليه العلم الأنثروبولوجي في الفكر الغربي لم يكن قائما على أسس متينة بقدر ما كانت تتخلله جملة من النقائص ومن الغث المعرفي إذ كانت المادة الخام التي قامت عليها بأكورة مؤلفات الغربيين في علم الإنسان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتمد كتابات بعثات التنصير والرحالة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأما قبل ذلك فقد كان هناك الكثير من الحدس والتخمين عن الأنظمة الشرية وأصولها، فالمادة العلمية المعتمدة لم تكن بالدقيقة والمؤهلة لقيام علم دقيق صادق وبالتالي تعتمد نتائجه، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنّ مجموع ما كتب عن الأنظمة البشرية في الفكر الغربي وما أتو به في القرن الثامن عشر عن الجماعات البدائية مثل "هيوم"، "آدم سميث"، "فيرجسن"، "منتسكيه"، و"كندرسيه"، وآخرون غيرهم في قارة أوروبا ورغم ما أتو من إسهامات اعتد بها إلاّ أنهم لم يكونوا من العلماء التجريبيين كما لم تقم استنتاجاتهم على شواهد يمكن فحصها، بل كانت تصوراتهم نتاج مبادئ معظمها مما تضمنته ثقافاتهم، وكانوا في الحقيقة فلاسفة ومؤرخين جاؤوا من أوروبا ولم يكونوا من علماء الإنسان كما نفهم هذا المصطلح اليوم[19]، و كل هذا يرجع بالأثر السلبي على العلم و على نتائجه التي لم يزل بعد يعتمد عليها حتى يومنا هذا، ومن أمثلة ذلك أن "كان الرأي السائد حينئذ هو أنّ الإنسان المتحضر لا يمكن أن يخرج بشيء له نفع من دراسة طريقة حياة مجموعة غير متحضرة، و قد روي أنه حتى نهاية القرن التاسع عشر فإن "جيمس فريزر" حين سئل عما إذا كان رأى قط إنسانا من البدائيين الذين كتب عن عاداتهم العديد من المؤلفات، أجاب: لا سمح الله، ومع ذلك فإنّ هؤلاء الكتاب كانوا بصورة لا يمكن تجاهلها طلائع علماء الإنسان الإجتماعي المحدثين !!، رغم أنّ الدراسة تتطلب التجربة الميدانية والاحتكاك المباشر بمادة البحث حتى تكون دراسة علمية يقينية، ومع هذا نجد أنّ علم الإنسان

الإجتماعي المعاصر يدين بالكثير لهؤلاء العلماء من القرن التاسع عشر رغم ما يشوب أعمالهم من نقائص وأخطاء.

كان فريزر مثل كثير من معاصريه يعنى بدراسة العادات التي كان يكتب عنها من مختلف أنحاء العالم، أناس لم يتوافر لأغلبهم سوى القليل من التدريب العلمي أو غير مدربين على الإطلاق وبهذا فقد كان يدرس تلك العادات خارج إطارها الاجتماعي، الذي يعطيها معناها الحقيقي[20].

أمّا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر فقد عني الكتاب الفرنسيون بالمجتمع البشري و بطبيعته، وطبيعة النظم الاجتماعية البشرية، وتركز اهتمامهم على جوهر المجتمع دون تاريخ تطوره.

لقد عني "كونت" كما عني أستاذه "سان سيمون" بالتأكيد على أنّ المجتمعات أنظمة قائمة وليست مجرد تجمعات أفراد، بمعنى أننا لا ننظر إلى قرية أو مدينة على أنها تجمع من الناس، ولقد أدرك المفكرون الفرنسيون أنه مادامت المجتمعات أنظمة فلابد وأنها تتكون من أجزاء تتفاعل فيما بينها. ورأوا كذلك أنه من الضروري أن تكون تلك الأجزاء ذات علاقات فيما بينها كأجزاء ومع المجتمع كوحدة متكاملة مكونة منها. على نسق يخضع لقوانين مشابهة لقوانين الطبيعة. قوانين لابد - من حيث المبدأ- أنه يمكن اكتشافها، بمعنى أنه لكي نفهم تركيب المجتمعات عامة أو أي مجتمع بعينه فلا بد وأن نتوصل إلى اكتشاف القوانين الحاكمة للنظام الاجتماعي والتي تعمل على حفظ كيان النظام كله، تماما كما هو الحال في محاولة فهم أي بنية طبيعية حية من تلك التي قورن بها المجتمع البشري صراحة أو تلميحا. وهذا الاتجاه البنيوي في دراسة المجتمعات البنيوية يراه "أكبر أحمد" خطيرا ومضللا في نفس الوقت رغم ما يحمله من إيجابيات وحسنات[21].

## 3. "أكبر أحمد" وتأسيس الأنثروبولوجيا الإسلامية:

دعا "أكبر أحمد" إلى تأسيس أنثروبولوجيا إسلامية تتجاوز ما كان من نقائص في دراسات الفكر الغربي لهذا المجال، فهو ينظر إلى أهمية العلم من باب فهم الذات لذاتها من

خلال دراستها لثقافة الآخر فهو يرى أنّ "المهمة الأولى لعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) هي مساعدتنا على أن نفهم أنفسنا عن طريق دراستنا لثقافة الآخرين، وعلى أن نحس أنّ الناس جميعا في جوهرهم وحدة واحدة" [22].

فعلى الإنسان أن يدرك أنه متشابه مع الآخر في جوهره وفي اهتماماته الأساسية، الأمر الذي يترتب عليه فهم الآخر والقيام بالتزامات معينة اتجاه الآخر، ونظرا لأهمية هذا العلم وجب إرساء أسسه كعلم له مباحث ومناهج علمية منطقية تؤدي إلى معارف يقينية يعتد بها في دراسات لا حقة.

## أ- تعريف علم الإنسان

عرف "أكبر أحمد" علم الإنسان على أنه "تحديدا هو دراسة الإنسان ولكن ما من علم بعينه يستطيع دراسة الإنسان من كافة جوانبه[23]، لذا اختص كل علم من العلوم بدراسة جانب من هذه الجوانب فكان ما اختص به علماء الإنسان الاجتماعيين أن ركزوا اهتمامهم على دراسة الناحية الاجتماعية في حياة الإنسان.

بحث "أكبر أحمد" في دلالة المصطلح في الفكر الغربي فوجد أنّ لهذا العلم علاقة بعلوم إنسانية أخرة ففي بريطانيا يعني بشيء من التوسع عددا من فروع الدراسة المختلفة بينها درجات من العلاقة الوثيقة التي تعود أحيانا إلى أن تلك الفروع نمت معا تاريخيا كدراسات متطورة لعلم الإنسان فعلم تطور الإنسان، وعلم آثار ما قبل التاريخ، وعلم التقنية البدائية، وعلم الثقافة المقارن، وعلم ثقافة المجتمع، تدرج كلها عادة في مجموعة واحدة من علم الإنسان الاجتماعي تحت عنوان جامع لها هو "علم الإنسان"[24]، وهذا ما عرف عن عالم الإنسان الاجتماعي فرغم تخصصه في هذا المجال إلاّ أنه ينسب لنفسه على الأقل شمول دراسته لكل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات التي يدرسونها.

## ب- تعريف علم الإنسان الإسلامي

يحدد "أكبر أحمد" علم الإنسان الإسلامي بأنه "دراسة المجتمعات الإسلامية على يد علماء ملتزمين بالمبادئ الشاملة التي جاء بها الإسلام - الإنسانية والمعرفة والتسامح- تلك

المبادئ التي تمكننا من إعطاء دراساتنا للمجتمعات القبلية و القروية الصغيرة، مكانها داخل الإطار الأكبر للدراسات التاريخية والفكرية للإسلام"[25]، و ينبه أحمد على أنّ هذه الدراسة تكون في الجانب الاجتماعي الإسلامي لا العقدي. و لذا يدع لاتباع المنهج الأنسب في هذه الدراسة و المتمثل في:

## ت- المنهج الأنسب للدراسات الأنثروبولوجيا

إنّ المادة الخام لموضوع الدرس في المباحث الأنثروبولوجية هو - الإنسان-، فاهتمامات عالم الإنسان منصبة بالدرجة الأولى على الناس الذين يمثلون المادة الخام لدراساته، كما أنّ اهتمامه ينصب بدرجة أشد حول ما هو عام ومشترك بين مجتمعات البشر وبالتحديد على الظواهر الثابتة المشتركة في ثقافاتها، ولهذا فعلماء الإنسان الاجتماعيين لا تعنيهم دراسة كل أنواع العلاقات الاجتماعية في المجتمعات التي يقومون بدراستها وإنما يركزون اهتمامهم على نوع العلاقات التي تحكم العادات التي تتميز بظاهرة الاستمرارية.

الوسيلة الأمثل في الدراسة الأنثروبولوجية المعاصرة، تتسم بالتأكيد على التجريب، وتحديد وظيفة كل شيء في المجتمع، هذا المنهج الذ يعتمد المخبر كخطوة أولى في الدراسة، يقوم بترتيبات علمية دقيقة: فهو يسمع حوار الآخر بتمعن، يزور المناطق، يحضر التجمعات بكافة أنواعها، يلاحظ التصرفات والسلوكيات، يسأل الناس عن عاداتهم، حتى يكون واحدا منهم وجزءا منهم ليستطيع أن يكون الصورة الدقيقة والكاملة لدراسته[26].

ومنه نقف على إشكال معرفي يتمثل في ضبط مباحث الأنثروبولوجيا الإسلامية عند "أكبر أحمد"

## ث- مباحث الأنثوبولوجيا الإسلامية:

يمكن حصر مباحث الأنثروبولوجية التي بحث فيها "أكبر أحمد" في ما يلي:

- **السلوك الاجتماعي للفرد المسلم:**

يشكل الفرد الجزئية الأولى التي يتكون منها المجتمع وما إن نحدد سلوك الفرد المسلم إلاّ ونتعرف على ميكانيزمات وآليات المجتمع الإسلامي، فما هي صورة الباحث المسلم في علم الإنسان في العالم؟

يرى أحمد أنّ المسلم من وجهة النظر المثالية يعيش حياته طبقا لما أمر به الله جل ثناؤه. ولكن من وجهة النظر العملية فإنه قد لا يفعل ذلك.

وهنا نرى أنّ الفرد المسلم متناقضا مع ما له من مبادئ الواجب تطبيقها ويسير وفقا لما نص عليه الشارع، ومع ما يجسده ويتعامل به على أرض الواقع، لا يمتثل لها و يمتثل لمبادئ غيرها هنا يتساءل أحمد مرة أخرى هل الذي يحرك المجتمع في نظر المسلم الرغبة أم عدم الرغبة في فعل ما أمر به الله جل ثناؤه؟ وإذا كان الأمر كذلك فإن على المسلم أن يبذل قصارى الجهد ليتطابق الواقع مع المثال.

ثم لا يجد أحمد أي حرج في البحث عن هذه القضية وفي تحليلها في إطار نظريات المدرستين الكبيرتين للدراسات الاجتماعية في الغرب، - الفردية المنظمة والشمولية المنظمة- فأنصار الفردية يرون أنّ الإنسان في المجتمع في دور من يبذل أقصى الجهد وأحسنه من أجل مصلحته ويرون أن التعامل في المجتمع تتابعات من تبادل المصالح، أما الشموليون فيرون أنّ الذي يحرك الإنسان هو نظام للأوضاع في الاقتصاد وفي المجتمع يتجاوز مستوى الأفراد.

إنّ هذه الدراسات تهدف إلى ضبط القوى المحركة للمجتمع البشري فالمجتمع له حركته وكل بحث في الظواهر الاجتماعية لا يوجه إلى الكشف عن طبيعة تلك الحركة ينحدر إلى مالا يعدو مجرد التدريبات العلمية. فأي إطار هو صالح لتحليل السلوك الاجتماعي للمسلم؟ هل ينطلق من مبدأ الربح والخسارة الفردي الذي يكسبه أو يصيبه في سجله الشخصي؟ أم يُقدّر الأمر على حسب فائدته أو ضرره للمنظومة الاجتماعية الذي هو جزء منها؟

يذهب أحمد إلى أنّ المسلم يسلك الأمر الثاني ويفضله، لأنّ الإسلام يأمر بالاعتناء بالمصالح الأساسية الخاصة بالفرد والتي لها علاقة بالبيئة. وعلاقاته بالناس - أفرادا وجماعات- فالإسلام دين اجتماعي، وأثر ذلك على المسلم واضح، فهو جزء من الأمة وجزء

من المجتمع الذي ينتمي إليه، ويحدد له هويته الاجتماعية والوضع المثالي للمسلم هو أنه من ناحية مرتبط بمجتمعه الذي يعيش فيه ومن ناحية أخرى فهو مرتبط بالأمة وهي تمثل المجتمع الأكبر بالنسبة له. لذا نجد أنّ اهتمام الأنثرولوجي المسلم ينصب على الجامعة بخلاف الأنثروبولوجي الغربي الذي ينصب اهتمامه على الفرد.

- **مستويات المجتمع الإسلامي**

قام أحمد بدراسة تحليلية استطاع وفقها تصنيف المجتمع الإسلامي إلى مستويات راعى فيها التسلسل التاريخي العام ونوع بناء المجتمع وتنظيمه، يمكن أن نحصرها في:

- **نموذج القطاعات القبلية الإسلامية:**

يرى أنه أول نموذج إسلامي عرفه التجمع البشري، وهو النموذج المتزامن مع بداية الإسلام، ولا يزال قائما إلى اليوم، وقد يشمل اليوم البدو والبربر والبختن وهذه القبائل تنتشر من أقصى شمال إفريقيا إلى الشمال الغربي للباكستان، وهو نموذج معروف السمات ومتشابه في الكثير من الوجوه، فيه إحساس عند الفرد بشخصية القبيلة، وتفهم للقوانين السارية فيها على نحو عظيم التطور، والفرد يرى العالم من خلال مكانه على شجرة سلالته.

- **النموذج العثماني: أو نموذج مجتمع الثكنة في الإسلام،**

وهو يتناقض بشدة مع النموذج الأوّل، ظهر هذا النموذج أيام بلغ التاريخ الإسلامي ذروة المجد فقد توصل العثمانيون إلى حل متقن للمشكلة القبلية. واستطاعوا أن يقتلعوا الانتماء القبلي والاقليمي من جذوره.

- **نموذج الإسلام في ربقة الاستعمار الغربي:**

وهو نموذج القرنين الأخيرين والنموذج الحالي أيضا هو النموذج الذي تظهر به المجتمعات الإسلامية، فقد أخضع الغرب المسلمين واستعمروهم، وقام الغربيون في هذه المرحلة بمحاولة مستميتة ليصوروا الإسلام في صورة التعفن والانحلال.

- **نموذج صحوة الإسلام:**

هو النموذج المعاصر للمجتمعات الإسلامية، ويرى أنّ أقرب البلاد لأن تكون رمزا للإسلام سواء في لحظات مجده أو الآن هي الباكستان، وإنّ قيام الباكستان في ذاته لهو رمز حي لنهضة الإسلام وقدرته على جمع شمل أتباعه، واسم عاصمتها رمز آخر لإحساسها الداخلي بقدرها: إسلام أباد معناه موئل الإسلام.

ولا ندري إن كان أحمد قد وصل إلى مثال النموذج الخامس عن تحليل علمي موضوعي أم حاد عنه.

- **النموذج الكامل:**

وهو النموذج الأصلي والكامل للمجتمع الإسلامي المثالي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم، وهنا وجب تحليل النماذج الاجتماعية التي أسست له تحليلا دقيقا كما نقف على مجموع السلوك الذي كان ينظم هذه النماذج كنظام البيت وتقاليد الدخول، قضية الترابط – الزواج- من داخل المجموعة ومن خارجها.

وإذا كنا نسعى لتأسيس النموذج الكامل لابد وأن نحدده أولا لنبني عليه انموذج الحاضر، هذا النموذج الذي حدده أحمد في شخصه صلّى الله عليه وسلّم كأسوة حسنة يقتدى بها وتكون النموذج الأمثل للسلوك الإسلامي، فوجب الوقوف على سيرته العطرة واستنباط وتحليل ما كان منه من أدوار إجتماعية من أب، زوج، صديق...(إلخ)، ونسقط هذا على وقتنا الحاضر فحان النظر إلى شخصه صلّى الله عليه وسلم من جانبه الاجتماعي تتبعا لسلوكه ولتصرفاته، فلاتزال الكتابات في السيرة النبوية ناقصة ووجب تحليلها بما يفيد حاضر السلوك الإنساني.

## 4. توصيات "أكبر أحمد" لعلم الأنثروبولوجيا الإسلامية:

تعتبر الأنثروبولوجيا الإسلامية علم فتي كان "أكبر أحمد" أوّل من نادى بهذه الدراسة في العالم الإسلامي، ولقد حدد لها مسارها بتحليل وضبط لأهم مبادئها كما ضبط لها منهجها

العلمي، نتائج وصل إليها من خلال تدارك النقص الذي كان في الدراسات الغربية، وحتى يضمن لهذا العلم استمرارية موفقة دعا إلي بعض التوصيات نذكر منها:

- ضرورة توخي الموضوعية ولا يجدر بالأنثروبولوجي المسلم أن يلقي بالدراسات الغربية أو بدراسات غير المسلمين، بل عليه أن يستفيد منها ويأخذ ما يعينه في دراسته.
- يعتبر علم الإنسان أداة هامة لدراسة المجتمع الإسلامي، وفيه الكثير مما يمكن أن يقدمه لفهم المشكلات الاجتماعية المعاصرة وحلها لذا وجبت النقاط التالية.
- أن يكتب تاريخ اجتماعي ميسر لحياة الرسول صلى الله عليه وسلّم يخاطب فيه مؤلفه المسلم اكبر عدد من القراء مسلمين وغير مسلمين على ألا يكون مؤلفا علميا بحثا ولا مغلقا على القارئ.
- يجب كتابة كتاب نموذجي رفيع المستوى في علم الإنسان و تتم ترجمته إلى اللغات الكبرى في العالم الإسلامي، ويجب أن يكون صالحا لمستوى الدرجة الجامعية الأولى، وبه أجزاء خاصة بكل منطقة ثقافية كبرى .
- يجب إفراد كتاب في علم الإنسان لكل منطقة إسلامية وتوزيعه في العالم الإسلامي، و يرشح ابتداء للاختيار المغرب عن منطقة العربي وباكستان عن جنوب آسيا وإندونيسيا عن جنوب شرق آسيا كنماذج ثقافية جغرافية مميزة، وينبغي أن تكون هذه الكتب بسيطة واضحة بها صور مشوقة ويمكن استعمالها في الكليات والجامعات.
- يجب تنظيم و تشجيع زيارات لعلماء الإنسان تغطي البلاد الإسلامية كما يجب القيام بمشروعات مشتركة.
- يجب القيام بدراسات مقارنة طويلة الأجل عن القطاعات الاجتماعية، تساعدنا على فهم أفضل، وعلى التوصل إلى استنتاجات تتعلق بالمجتمع الإسلامي ومشاكله العاجلة المعاصرة.
- القطاعات التي ينبغي دراستها يمكن أن تكون كما يلي: الفلاحون، القبائل، المدن، وللقطاع الأول يرشح دراسة قرية باكستانية، وقرية مصرية تعتمد تقليديا على شبكات

الري. أما بخصوص القبائل فيرشح البربر والبختن كمواضيع اختيارها طبيعي، وأما عن المدن فيرشح القاهرة والمدينة المنورة ولاهور.

- ويجب أن يكون لدينا إطار واضح للدراسات الاجتماعية العملية والخاصة بالتنمية حتى يتيسر لنا تخطيط أفضل للمجتمع الإسلامي في القرن العشرين.
- استخراج وجمع الأجزاء المتعلقة بعلم ثقافة المجتمع وبعلم الإنسان من كتابات المؤلفين المسلمين الكبار وإفراد مجموعة مجلدات خاصة بها، ومثل هذا العمل يحتاج فيه عالم الإنسان إلى معونة علماء التراث الإسلامي[27].

## خاتمة:

مكن أن نخلص في دراستنا هذه إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها والمتمثلة في:

- يعتبر علم الأنثروبولوجيا علما في غاية من الأهمية ذلك أنّ العقل انتقل إلى البحث في الجزئيات التي تشكل ذاته سواء أكان ذلك ماديا أم معنويا، فألمت الدراسة بكامل حيثيات الإنسان سواء من جانبه الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي وغيرها.
- إنّ المادة الخام للدراسات الأنثروبولوجية هو الإنسان ذاته، كما أنّ المنهج العلمي المعتمد فيها هو المنهج الاستقرائي التجريبي الذي يعتمد الملاحظة وتدوينها، فالتجريب والمقارنة، لذا تعتبر الدراسة الميدانية في الأنثروبولوجيا أهم من النظرية، هذه الأخيرة التي تستنبط من الأولى تباعا.
- لم تكن الأنثروبولوجيا من ابتداع العقل الغربي وتاريخ الفكر الإنساني شاهد على إسهامات كل من ابن بطوطة، ان خلدون، البيروني، ابن مسعود...وغيرهم في هذا المجال، إلاّ أنه يمكن القول أنّ علم الإنسان الإسلام قد بدأ ووقف مع هؤلاء وهذا حقا مما يؤسف له.
- كانت دعوة صريحة للأنثروبولوجي الباكستاني المعاصر " أكبر أحمد" وهو يلح على إرساء دعائم الأنثروبولوجيا الإسلامية في الفكر الإنساني، متوخيا في ذلك الاستفادة

من دراسات الآخر من غير المسلمين، لكن في الوقت نفسه ضرورة التفطن لما يعتد به من هؤلاء خصوصا وأنه قد كشف عن العديد من الأخطاء المنهجية التي عكرت صفو دراساتهم ومع هذا قد أسست بشكل أو بآخر لعديد من النظريات الأنثروبولوجية في الفكر الغربي.

- آن الأوان لدراسات أنثروبولوجية إسلامية، دراسات تكون في المستوى العلمي والأكاديمي، لها من مباحث ومناهج ومصادر ما يخول لها أن تحقق الحلم الإنساني في تحقيق النموذج الأمثل للمجتمع الإسلامي.

## الهوامـش

[1]- مصطفى تيلوين، **مدخل عام في الأنتروبولوجيا**، ط1، دار الفارابي، بيروت 2011م، ص 20

[2]- مارك أوجيه، جان بول كولاين، وآخرون، **الأنثروبولوجيا**، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2008مص 13.

[3]- مصطفى تلوين، **مدخل عام في الأنثروبولوجيا**، ص، 21.

[4]- فاروق مصطفى اسماعيل، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، (د-ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1979م، ص27..

[5]- شرلوت سيمور، **موسوعة علم الإنسان- المفاهيم و المصطلحات الأنثروبولوجية**، إشراف جابر عصفور، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م، ص69 .

[6]- فاروق مصطفى اسماعيل، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، ص ص 28-39

[7]- عبد الله عبد الرحمن يتيم، **كلود لفي ستراوس، قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر**، ط1، المنتخب، بيت القرآن، البحرين، 1998م،ص46.

[8]- André Mary, **Les Anthropologues et la religion**, France, 2010, P 9.

[9]- كلود لفي ستراوس، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان**، تر: أسامة نبيل، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م، ص 32.

[10]- كلود لفي ستراوس، **الأنثروبولوجية البنيوية**، تر: مصطفى صالح، (د-ط)، منشورات الإرشاد القومي، دمشق، 1977م، ص 20.

[11]- Pelto -J- Perti، **دراسة الأنثروبولوجيا – المفهوم و التاريخ**، تر: كاظم سعد الدين، ط1، بيت الحكمة العراقي، بغداد، 2010م، ص 55.

[12]- **أكبر.س. أحمد :** من أعلام علم الإنسان المعاصرين، ولد و نشأ وأتم مراحل تعليمه الأولى في وطنه الباكستان، حتى حصل على الدرجة الجامعية الأولى من جامعة البنجاب عام 1961م، حصل على دكتوراه الفلسفة من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن عام 1978م. كتب العديد من البحوث والكتب في مجال تخصصه، حتى لفت إليه أنظار علماء الإنسان على الصعيد الدولي، وكان الكثير مما كتب خاصا بالمسلمين في وطنه الباكستان، أولئك الذين ولد بينهم ويعيش و يعمل اليوم بينهم. كان امتيازه سببا في أن يسند إليه العديد من المناصب العلمية المرموقة، فكان أول من تولى منصب المدير العام للمركز القومي للتنمية الريفية في "إسلام أباد"، كما تولى منصب مدير مركز العلوم الاجتماعية بجامعة برنستن بالولايات المتحدة، ومعهد التنمية الدولية بجامعة هارفارد الأمريكية ولامتيازه العلمي منحته جامعة واشنطن درجة الأستاذية الشرفية.

[13] - توماس هايلاند إيركسون، فين سيفرت نيلسون، **تاريخ النظرية الأنثروبولوجية**، تر: لاهاي عبد الحسين، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013م، ص 11.

[14] - أكبر.س.أحمد، **نحو علم الإنسان الإسلامي، تعريفات ونظريات واتجاهات**،تر: عبد الغني خلف الله، ط1، دار البشير، الولايات المتحدة الأمريكية، 1990م، ص 113..

[15] - المصدر نفسه، ص 113.

[16] - Perti –J- Pelto، **دراسة الأنثروبولوجيا – المفهوم و التاريخ**، ص 34.

[17] - المرجع نفسه، ص 34.

[18] - أكبر أحمد، نحو علم الإنسان الإسلامي، ص 114.

[19] - المصدر نفسه، ص 19.

[20] - المصدر نفسه، ص 20.

[21] - المصدر نفسه، ص 24..

[22] - المصدر نفسه، ص 17.

[23] - المصدر نفسه، ص 25 .

[24] - المصدر نفسه، ص 29..

[25] - المصدر نفسه، ص 114..

[26] -Melville J Herskovits, **Les Bases De L'anthropologie culturelle**, Réalisée par : Jean Marie Tremblay, Paris- p 67.

[27] - المصدر نفسه، ص ص 135– 139.

## المراجع:


1- أكبر.س.أحمد، نحو علم الإنسان الإسلامي، تعريفات و نظريات و اتجاهات،تر: عبد الغني خلف الله، ط1، دار البشير، الولايات المتحدة الأمريكية، 1990م.

2- توماس هايلاند إيركسون، فين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر: لاهاي عبد الحسين، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013م.

3- شرلوت سيمور، موسوعة علم الإنسان- المفاهيم و المصطلحات الأنثروبولوجية، إشراف جابر عصفور، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م.

4- فاروق مصطفى اسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية، (د-ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1979م.

5- عبد الله عبد الرحمن يتيم، كلود لفي ستراوس، قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، ط1، المنتخب، بيت القرآن، البحرين، 1998م.

6- كلود لفي ستراوس، الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر: أسامة نبيل، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م.

7- كلود لفي ستراوس، الأنثروبولوجية البنيوية، تر: مصطفى صالح، (د-ط)، منشورات الإرشاد القومي، دمشق، 1977م.

8- مارك أوجيه، جان بول كولاين، وآخرون، الأنثروبولوجيا، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2008م.

9- مصطفى تيلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، ط1، دار الفارابي، بيروت 2011م.

10- Perti –J- Pelto، دراسة الأنثروبولوجيا – المفهوم و التاريخ، تر: كاظم سعد الدين، ط1، بيت الحكمة العراقي، بغداد، 2010م.

-11 André Mary, Les Anthropologues et la religion, France, 2010.

-12 Melville J Herskovits, Les Bases De L'anthropologie culturelle, Réalisée par: Jean Marie Tremblay, Paris–